



د. سامح عبد الله العليلى

القمامة للجميع .. شعار السلطات المحلية الجديد

يا للسعادة .. فارجاء المعمورة أصبحت زينتها اهرامات القمامة والمهملات.. تنتشر فى كل ركن ومكان، لكل مواطن من تلك الجماهير الغفيرة المغلوبة على أمرها، نصيبه من نفايات المجتمع.. تحقيقا لعدالة التوزيع بالقسطاس والكرم الحاتمى، أيضا لشركائنا فى الجوار من الحيوانات الضالة والقوارض والحشرات نصيب وافر من كنز القمامة والمهملات.. ناهيك عن الآفات والطفيليات والميكروبات .. حقا نستحق الحسد على كرم السلطات المحلية!!

تحت عنوان .. "المعجزة اللازمة لإعادة النظافة بالشوارع" ، نُشر على صفحات الرأى بجريدة الأهرام فى 2009/10/22 .. مقال فى الصميم بقلم أ.د. مرسى عرب بكلية الطب جامعة الإسكندرية .. كلماته نابغة من قلب عالم وأيضاً هو تعبير عن مشاعر مواطن مُتضرر من ما وصل إليه حال النظافة العامة فى البلاد

" فك تهنيأء عوئزة جلا / سنفق طلمطئع بع لأج طي ب . لئق خوزة العوع مطلى فعمك عو حُج ب

ك وطف هيد ارض ~ لمطلى لزتهنخ تاة عسكنة لئطئ... إلخ"

إن الأمر لم يكن فى حاجة إلى استيراد أنظمة باهظة التكاليف، والارتباط لآجال طويلة بعقود إذعان غير متوازنة مع شركات أجنبية، لتحل محل النظام القائم فى إدارة منظومة النظافة العامة، ولم يكن المطلوب سوى تطوير النظام القائم بأقل الأعباء ووفرة المردودات، لقد تبين فى نهاية الأمر .. ان هذا النظم المستوردة لم تحقق الغرض المنشود، بل على العكس من ذلك .. وفى وجود هذه النظم وعلى يديها إنهارت تماما منظومة النظافة العامة بشكل لم يسبق له مثيل .. وكُبلت يد الإدارة المحلية فى مواجهة الموقف، بعد أن اتضح عدم امكانية فض هذه الشراكة بسهولة، وأن هناك تخوف من لجوء الشركات الأجنبية إلى التحكيم الدولى باهظ الأعباء والتكلفة، وكالعادة لم يُحاسب أحد من المسؤولين عن هذه الورطة أو الجريمة النكراء فى حق المجتمع،..

إن حالة النظافة العامة فى المجتمع.. هى أحد الدعائم الأساسية لاستقرار حياة البشر فى الحضر والريف وفى أى مكان آخر ، مما يتطلب الاهتمام بها اهتماماً حقيقياً وليس إعلامياً، ووضعها على رأس أولويات أولى

الأمر ، ولابد من وجود كيان فاعل قادر على إدارة منظومة النظافة العامة على أسس من العلم والخبرة، حيث أنه مرفق حيوى لا يقل أهمية عن بقية المرافق العامة الأخرى كشبكات الحركة والمياه والصرف الصحى والكهرباء والاتصالات والغاز الطبيعى، مما يستوجب أن يُخصص له نصيبا عادلا من حجم الاهتمام والإنفاق لا يقل عن ما يخصص لبقية المرافق الأخرى، وحتى يُمكن تحقيق تخفيف تدريجى فى حجم المعاناة الهائلة للمواطنين من جراء تراكم القمامة بأنواعها، وما يترتب على ذلك من اضرار شديدة الوطأة على البيئة والصحة والمزاج العام للمجتمع، وانعكاس ذلك أيضا على جودة الحياة وعدم القدرة على توفير بيئة حياتية نظيفة مضيافة آمنة..

وحتى لا نصاب بالإحباط.. فإليكم قصة "مليونير القمامة".. الشاب الطموح "شرف أمام" الذى لم يكن يملك سوى شهادته الجامعية وذكائه وإرادته ، فقد نجح من خلال مبادرة فردية فى أن يُقيم منظومة متكاملة ناجحة لإدارة منظومة القمامة فى قريته بالبراجيل ، وحقق المليون الأول بعد سبعة أعوام فقط من البداية، لقد استثارته محاضرة د. محمد صابر بعنوان "القمامة نعمة لا نعمة" ، القصة الكاملة منشورة على صفحة التحقيقات بجريدة الأهرام فى 2009/5/7 ، لقد تُوّج عمله بإختياره لتمثيل مصر فى مؤتمر نوادى العلوم حيث عرض تجربته وحصل على المركز الأول فى العالم العربى، كما حصل أيضا على جائزة وزارة البيئة.. إثباتا لقول .. ما نيل المطالب بالتمنى .. وإنما تُؤخذ الدنيا غُلَبا..

إذن الأمر لا يحتاج إلى معجزة كما افاد د. مرسى عرب،.. فإذا فشل الكبار ونجح الصغار، فنلجأ إلى من هم أصحاب خيال وجسارة وإصرار على النجاح،.. لنُجرب مرة طُرقا غير تقليدية فى ظروف إستثنائية بعد أن إنهارت حالة النظافة العامة إلى درجة العار .. والإهانة الكبرى لمصر والمصريين ، وإلى درجة أن المدن والقرى المصرية العجوز ذات التاريخ العريق .. أصبح تتوارى خجلا من تواضع هندامها ، مقارنة بالهندام المتألق لتلك المتواجدة فى العالم الآخر والعربى على الأقل .. بدءاً من سلطنة عُمان واليمن ويران والخليج العربى والأردن مروراً بشمال غرب أفريقيا فى تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا ، مدن وقرى هذه الأوطان تتبارى بدرجات متفاوتة فى تحسين صورتها للتباهى بهندامها النظيف الأنيق ، باستخدام الوسائل المتاحة محليا لتوفير بيئة حاضنة لمواطنيها .. يتوفر بها الحد الأدنى من معايير النظافة والنظام والاستقرار.

عميد سابق وأستاذ بكلية التخطيط العمرانى جامعة القاهرة

Sameh_elalaily@yahoo.com